

## النقد النسقي وخصائصه

سيتعرّف الطالب في السداسي الرابع من مسار تكوينه، وفي مقياس النقد العربي المعاصر على النقد النسقي العربي متمثلاً في:

- النقد الأسلوبى أين يقف عند نصوص عربية استثمرت المنهج الأسلوبى ممثلة بنصوص عبد السلام المسدى وصلاح فضل.
- النقد البنىوى أين يلتقى بنصوص نقدية عربية تكشف عن إنجاز أصحابها نصوصاً نقدية بنىوية، ممثلة بنصوص كمال أبو ديب، عبد الحميد بوايو ونبيلة إبراهيم.

- النقد السيمىائى الذى تتمثله نصوص رشيد بن مالك وسعيد بن كراد، أين اكتسب خلفية عن نشأة النقد النسقى ومبدأ المحايدة الذى قام عليه، وتعرّف على هدف كل منهج والأدوات الخاصة بالتحليل والإجراء، وسيتعرّف فى السداسى الخامس وفى الوحدة الأساسية رقم (2) على مناهج النقد النسقى ممثلة فى مقياسى: النقد السيمىائى والنقد البنىوى أين يتعرّف عن نصوص نقدية أنجزها نقاد الغرب فى هذا المجال، ويقف عند التلقى العربى لهذه المناهج من خلال تحليل نصوص ل: محمد الداى وأحمد يوسف كتمثيل للتلقى العربى للنقد السيمىائى، ونصوص لحسين الواد وسيزا قاسم ويمنى العيد ممثلين النقد البنىوى، كما سيتعرف فى نفس السداسى وفى مقياس النقد الجزائرى على النقد الجزائرى السياقى والنسقى ممثلاً فى: النقد التاريخى الجزائرى أين يقف على نصوص لعبد الله الركبى وأبو القاسم سعد الله، ومحمد ناصر، وصالح خرفى. النقد الاجتماعى الجزائرى وتمثله نصوص محمد سارى. النقد الانطباعى الجزائرى ممثلاً بنصوص محمد مصايف وعبد الله الركبى. النقد النفسى الجزائرى أين يلتقى بنص عبد القادر فيدوح وأحمد حيدوش. ويتعرف فى النقد النسقى الجزائرى على النقد البنىوى الجزائرى ويقف عند نصوص عبد الحميد بورايو، ونصوص رشيد بن مالك

كتمثيل للنقد السيميائي الجزائري، ونصوص عبد الحميد بوزينة كتمثيل للنقد الأسلوبي الجزائري، ونصوص عبد المالك مرتاض كتمثيل للنقد التفكيكي الجزائري. مما يعني أنّ الطالب لا يملك خلفية عن النقد السياقي والنسقي؛ الأمر الذي يتطلب شرح لنوعي النقد وتحديد خصائص كل منهما.

### النقد النسقي:

فضّل نقاد القرن العشرين أن يُعطوا اهتماماً ضئيلاً أو لا يُعطون أي اهتمام للسياق التاريخي أو قصد المؤلف، ويفسحون المجال لصيغ حديثة من التفكير. وإذا كان النقد السياقي قد اتجه إلى السياق وخارج النص يُحاور قوله المختلفة مستفيداً من معارفه، التي يعززها البحث الفلسفي، والتاريخي، والاجتماعي، والنفسي محاولاً أن يُبقي باب التدوق والتأثر مفتوحاً على الداخل، حتى لا يُغيب النص كلياً في ركام الفرضيات والتصورات. فإنّ النقد النسقي سيوكل لنفسه مهمة الغوص في مجاهل عالم "مغلق" يقرّ بوجوده واستقلاله، فيعطيه سمات الكائن الحي ذي الخصائص المميزة، والذي يجعل منه ذاتاً تنعم بالشرعية، والحياة، مولداً ونشأة، ومماتاً، يتحمل الناقد مسؤولية الإفصاح عن كنهه في كل مرحلة من مراحل حياة هذه "الذات".

إنّ كلا النقيدين في حاضر النقد، يثير ابتداءً موجة من تبادل التهم، تغري -حتماً- بإقامة جسور التقارب بينها، فتجعل من ثنائية: داخل/ خارج وجهين لورقة واحدة على حدّ التعبير السويسري، يمكن الانتقال من الخارج إلى الداخل، أو المروق من الداخل إلى الخارج في عملية تكاملية تفضي -حتماً- إلى إعطاء النص أبعاده الحقيقية قراءة (تفسيراً وتحليلاً) أو (الفهم + القراءة الناقدة) على رأي "مصطفى ناصف".

والجمع بين النقد السياقي والنقد النسقي أشبه بالمستحيل؛ حيث يقول بيار ماشيري Pierre Machery متبرّماً من المناهج السياقية والنسقية: "لا يجد الباحث النزيه الآن ما يختاره، فالمنهج التقليدي لم يفسر شيئاً إطلاقاً إذ كل شيء عنده مفسر مسبقاً ما

دام الأدب من أمر الغيب يعرف بالبداهة ويدرك دونما سؤال. والمنهج النفساني لم يفسر بدوره شيئاً إذ هو لا يوفق إلا بمخلفات غثة للتجارب الفردية وهي مخلفات لم تضع يوماً في الأدب أثراً راقياً. والمنهج الاجتماعي يعد الكثير ولا ينجز إلا القليل إذ هو يمسك بحسابات لا يمتلك حق التصرف فيها. وأما المنهج الهيكلاني فيكشف عن تركيب لا يعرف من أين جاء ولا يدري لما أحدث في القارئ انفعالاً؟.

النقد النسقي يتمثل في النقد اللساني أو الألسني، نقد تركيبى لأن اللسانيات كما يرى عبد الله الغذامي "هي لغة اللغة، أي الأخذ بنصوصية النص، وهي نصوصية نسبية لأنها تقوم على مبدأ العلامة. كما أنها ديناميكية لأنها تأخذ بمفهوم الأثر، وهي استنباطية، ووصفية لأنها تعتمد على سبر حركة الدوال بدءاً بالصوت المفرد فالكلمة فالتركيب، ثم السياق الصغير، وتربط ذلك بالسياق الكبير من خلال حركة تداخل النصوص، وهذا كله يحدث دون أن تفقد النص خصوصيته لأنه يحمى بمبدأ الإشارة الحرة. وهو النقد الذي تفرع منه:

1- **النقد البنيوي أو البنيوية**، والتي تُعد منهاجاً وصفيًا، يرى في العمل الأدبي نصًا مغلقًا على نفسه، له نظامه الداخلي الذي يكسبه وحدته، وهو نظام لا يكمن في ترتيب عناصر النص كما هو شائع، وإنما يكمن في تلك الشبكة من العلاقات التي تنشأ بين كلماته وتنظيم بنيته... من هنا ركزت البنيوية متأثرة بنموذجها اللغوي، اهتمامها في البحث عن بنية العمل الأدبي، تلك البنية التي تكشف عن نظامه، بطريق تحليله تحليلًا داخليًا، مؤكدة أهمية العلاقات الداخلية والنسق الكامن في كل معرفة علمية، وبهذا تكون البنيوية مكملة لجهود الحركات النقدية السابقة، كالمدرسة الشكلية والنقد الجديد والمدارس اللغوية السابقة، مؤكدة رفضها المقاربات (البيوغرافية والمؤثرات الخارجية).

تتظر البنيوية للأدب على أنه صيغة متفرعة عن صيغة أكبر، أو هو بنية ضمن بنية أشمل هي اللغة؛ أي الكتابة كمؤسسة اجتماعية، تحكمه قوانين وشيفرات وأعراف محدّدة تماما كما هي اللغة كنظام. ويُصبح الأدب من هذا المنظور نوعا من الممارسة الفعلية مقارنة مع الكتابة عموما، وبدوره يصبح هو بالنسبة لأنواعه نظاما

لغويا وتتحول أنواعه بدورها إلى ممارسات فعلية يهيئ لها الأدب قوانين وأنظمة تجعل هذه الأنواع تأخذ صفاتها النوعية والأدبية... فالبنوية تسعى إذن إلى تأسيس مثال أو نموذج نظام الأدب نفسه على أنه هو المرجع الخارجي للأعمال الفردية . وما محاولتها دراسة وتحديد مبدأ البنية التي تنتظم الأعمال الأدبية عموماً) وليس العمل الفردي (والعلاقات القائمة بين مختلف فروع الحقل الأدبي، ما هذه المحاولة إلا محاولة تأسيس منهجية علمية لدراسة الأدب.

يستعير المنهج البنيوي خصائصه من تنويعات البنية ليؤسس عليها تصورات شمولية ترسم أطره العامة، وتجعله هيكلاً يقبل استيعاب أنواع المعرفة المنوطة به، والتي يقبل عليها قصد تجليتها، مستمداً منها عناصرها التالية:

أ- التحليل الشمولي.

ب- القيم الخلافية.

ج- التحليل المنبثق.

د- قاعدة المناسبة.

هـ- الامتداد عمق

2- النقد البنيوي التوليدي: تتحدد ميزته من خلال الأعمال التطبيقية التي قام عليها مستقيداً من روافد عدة يقضيها المنهج، وتقع خارج النص. فتمده بكثير من المعطيات المعرفية والتي تشكل حيثيات النص من تاريخ وعلم اجتماع وعلم نفس اجتماعي وأثنربولوجيا، أي بعامة ما تقدمه الحقول الإنسانية في نطاق المعرفة؛ وكأنّ هذا النقد يهدف أساساً إلى الوقوف في وجه الشكلائية ليرد الاعتبار للأثر الأدبي مركزاً على خصوصياته المختلفة دون أن يفصله عن علائقه بالمجتمع والتاريخ، وعن جدلية التفاعل الكامنة وراء استمرار الحياة وتجديدها؛ فهو يقوم على مبدئين متلازمين:

- يتحدد الأول من خلال رؤية نصية داخلية.

- ويتميز الثاني برؤية سياقية يفضي الجمع بينهما إلى الحقيقة النصية التي لا

تهمل الطابع الجمالي والفني للأثر الأدبي.

ذلك ما جعل هذا النقد أكثر حيوية وأكثر عطائية، تتأسس لغته القرائية على عناصر تشويقية هامة، تبتعد عن جفاف اللغة الشكلانية. حتى وإن كانت تأخذ ببعض الأساليب الإحصائية، والجداول الهندسية التي أولعت بها القراءة الأخرى.

3-النقد الأسلوبي: فإن كان همّ النقد الشكلاني تفكيك النص تفكيكاً آلياً محايداً قصد الوصف، وكان النقد التوليدي سعى إلى إعادة الاعتبار للسياقات المختلفة، فإنّ النقد الأسلوبي يقف وسطاً يتوخى غايتين في الوقت ذاته:

- الإمتاع: حيث يُحقّق البناء الفني غاية الإمتاع.
- الإفادة: يجسّد المضمون الفكري غاية الإفادة.

إلا أن هذا الطرح لم يتحقق على هذه الصورة من الوضوح إلا بعد مخاض انتاب البلاغة القديمة تولد عنه علم الأسلوب؛ الذي قام عليه علم الأسلوبيات كصور إجرائية لمقولاته المختلفة في إطار التصور اللغوي الجديد معززاً بمقولات الألسنية والبنية وعلم النفس، وتحقيق الوسطية التي يتوخاها النقد الأسلوبي، وذلك ما دعا إليه ستيفان أولمان حين رأى أنه بإمكان علم الأسلوب أن يسدّ الفجوة بين الدراسات اللغوية والأدبية، والوصول إلى الوحدة الجوهرية والتكامل لتغطية جميع مستويات العمل الأدبي بنيوياً؛ ومن ثم تفجير الأثر الجمالي للنص.

فالأسلوبية تفهم اللغة في كونها إبداعاً، بينما ينظر إليها التحليل اللغوي كمجال للتطور والتاريخ، ويبقى الأسلوب اعتبار ذاته مصباً للقيم التعبيرية والجمالية معاً. ولا يستبعد أبداً اعتبار الفكر اللغوي فكراً أسلوبياً مفعماً بالدلالة: ابتداء من الصوتي، والصرفي، والنحوي، والتركيبي؛ لأنها عناصر ما سيقّت على ذلك الوجه إلا لتؤدي قيماً تعبيرية معينة، حتى البنى الإفرادية لا تشتت عن ذلك؛ لأننا نرى فيها طبقاً لحالتها معنى فكرياً بحثاً وآخر شخصياً عاطفياً يعود أولهما إلى ذكاء الإنسان، ويرجع الثاني إلى حساسيته وهما يمارسان تأثيرهما في نفس الوقت بطرائق مختلفة؛ فهي في وضعيتها الأولى تمثل روح الأمة في زمن المواضعة، أما في لحظتها الثانية فهي روح المبدع، والفرق بين الروحين: هو الفرق بين إرادة لاشعورية في الأمة تقتضيها الحاجة ويحكمها الارتجال، وإرادة واعية لدى الفرد بيدعها في نسق جمالي.

4-النقد السيميائي: منهج نقدي واسع يضم إلى جانب الدراسة الأدبية للأعمال الروائية، أنظمة تواصلية علاماتية أخرى؛ فهو علمٌ يدرس ما وراء البنية السطحية من دلالات ومعانٍ ويكشف النظام المعنوي وكيفية اشتغاله، ويحاول تصوير بنية الدلالة المجردة والخفية. لقد استثمر رولان بارت مجهودات سابقة من المنظرين للسانيات والسيميوطيقا؛ فأخرج نظاما سيميائيا نقديا أدبيا لتحليل ودراسة الأعمال الأدبية النصية وكذا العلامات غير اللغوية كالأزياء ونظام الموضة واللباس، والرسم وغيرها من الأنظمة الدالة.

#### المراجع المعتمدة:

- برنار توسان. ما هي السيميولوجيا؟ ترجمة محمد نظيف. ط2. أفريقيا الشرق بيروت، 2000.
- توفيق الزيدي. أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث. الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس 1984.
- حسين الواد. في مناهج الدراسة الأدبية. دار سراس للنشر تونس، 1985.
- شايف عكاشة. نظرية الأدب في النقاد الجمالي والبنوي في الوطن العربي. ديوان المطبوعات الجامعية 1994.
- صالح هويدي. المناهج النقدية الحديثة- أسئلة ومقاربات- ط1. دار نينوى، دمشق 2015.
- صلاح فضل. نظرية بنائية في النقد الأدبي الحديث. ط2. مكتبة الأنجلو المصرية 1980.
- عبد الله الغزالي. تشريح النص. ط1. دار الطليعة، بيروت 1987.
- عبد الملك مرتاض. النص الأدبي من أين وإلى أين. ديوان المطبوعات الجامعية 1983.
- ميجان الرويلي، سعد البازعي. دليل الناقد الأدبي. ط3. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2002.

